Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بينما، في الواقع، يجب اعتبار القيمة الحقيقية للتبادل الثقافي بين محيط معين أو مجموعة معينة. فحسب الهيكلية الاقتصادية الاجتماعية لبلدين، وحسب المكانة التي فيهما للظاهرة الأدبية، يختلف مفهوم كتاب ويختلف استهلاكه.

إذن، يجب درس عملية التوزيع الأدبي، وفق وحدات هي، في وقت واحد، أعمّ وأبسط من الأمم أو الكتل اللغوية التي باتت هيكليات معقّدة. ففي الواقع، لكل مجموعة اجتماعية، حاجاتها الثقافية، إذاً أدبها الخاص. وهذه المجموعة، قد تكون جنساً أو سناً أو طبقة، وبعدها يمكن الكلام على أدب نسائي أو أدب أطفال أو أدب عمال، ولكل واحد منها نظام تعامله الخاص ومؤسساته الخاصة، رغم وجود مجلات نسائية ومكتبات أطفال ومكتبات عمال. وربما انتقل أثر من نظام خاص إلى نظام آخر.

يبقى، أن المجموعة الاجتماعية التي لها الهوية الأدبية الأنقى، هي: المجموعة المثقفة. وكنا رأينا سابقاً، أن فئة «المثقفين» هي في أساس مفهوم الأدب. إذ المثقفون، ولهم طبقة مغلقة، لا يتأقلمون اليوم في طبقة اجتماعية لا في مجموعة اجتماعية احترافية. لذا، يمكن تحديد المثقفين أنهم أشخاص تلقوا زاداً ثقافياً وتربية جمالية متقدمة ليتمكنوا من إطلاق حكم أدبي شخصي، إذ لهم مطالعاتهم ومصادرهم لشراء الكتب. وهذا التحديد، هنا، مفترض لا واقعي، إذ كثيرون من المثقفين لا رأي أدبياً لهم، ولا يقرأون ولا يشترون كتباً، مع أن في إمكانهم ذلك.

هذا الفريق من المثقفين، كان يتلاءم في الماضي، مع الارستقراطية، ثم تجانس، في ما بعد مع البورجوازية المثقفة التي كان معقلها الثقافي: التعليم الثانوي التقليدي. أما اليوم، فهو اكتسب أيضاً وجود العمال المثقفين (وأبرزهم أعضاء الهيئة التعليمية) والعمال الفنانين وقسم (ضئيل) من العمال اليدويين. وهو هذا، ما يمكن أن نسميه «الوسط الأدبي» حيث ينضوي أكثر الأدباء، وأكثر المساهمين في العملية الأدبية: من الكاتب إلى الجامعي مؤرخ الأدب، إلى الناشر، إلى الناقد الأدبي.

هؤلاء الذين «يصنعون» الأدب، جميعهم مثقفون. والعملية الأدبية المثقفة تدور في دائرة مغلقة ضمن ذاك الفريق، كما رأينا ذلك في كلامنا على عملية النشر.